

روح المعاني

والرضا بسوء جوار المنافقين ولم يعتذروا بالمعاذير الكاذبة المؤكدة بالأيمان الفاجرة وكانوا على ما أخرج البيهقي في الدلائل وغيره عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما عشرة تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فلما حضر رجوع رسول الله A أوثق سبعة منهم أنفسهم بسوارى المسجد وكان ممر النبي E إذا رجع في المسجد عليهم فلما رأهم قال : من هؤلاء الموثقون أنفسهم قالوا : هذا أبو لبابة وأصحاب له تخلفوا عنك يا رسول الله وقد أقسموا أن لا يطلقوا أنفسهم حتى تكون أنت الذي تطلقهم فقال رسول الله A : وأنا أقسم بالله تعالى لا أطلقهم ولا أعذرهم حتى يكون الله تعالى هو الذي يطلقهم فأنزل الله تعالى الآية فأرسل . وعذرهم فأطلقهم اليهم E

وفي رواية أخرى عنه أنهم كانوا ثلاثة وأخرج ابن أبي حاتم عن زيد أنهم كانوا ثمانية وروى أنهم كانوا خمسة والروايات متفقة على أن أبا لبابة بن عبدالمنذر منهم خلطوا عملا صالحا خروجا إلى الجهاد مع رسول الله A وءاخر سيئا تخلفوا عنه E روي هذا عن الحسن والسدي وعن الكلبي أن الأول التوبة والثاني الإثم وقيل : العمل الصالح يعم جميع البر والطاعة والسيء ما كان ضده والخلط المزيج وهو يستدعي مخلوطا ومخلوطا به والأول هنا هو الأول والثاني هو الثاني عند بعض والواو بمعنى الباء كما نقل عن سيبويه في قولهم : بعت الشاة شاة ودرهما وهو من باب الإستعارة لأن الباء للإصاق والواو للجمع وهما من واد واحد ونقل شارح الباب عن ابن الحاجب إن أصل المثل بعت الشاة بدرهم أي مع درهم ثم كثر ذلك فأبدلوا من باء المصاحبة واوا فوجب أن يعرب ما بعدها بإعراب ما قبلها كما في قولهم : كل رجل وضيعته ولا يخفى ما فيه من التكلف وذكر الزمخشري أن كل واحد من المتعاطفين مخلوط ومخلوط به لأن المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك : خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه مالميس في قولك : خلطت الماء باللبن لأنك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به وإذا قلته بالواو وجعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كأنك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء وحاصله أن المخلوط به في كل واحد من الخليطين هو المخلوط في الآخر لأن الخلط لما إقتضى مخلوطا به فهو أما الآخر أو غيره والثاني منتف بالأصل والقرينة لدلالة سياق الكلام إذا قيل : خلطت هذا وذاك على أن كلا منهما مخلوط ومخلوط به وهو أبلغ من أن يقال خلطت أحدهما بالآخر إذ فيه خلط واحد وفي الواو خلطان . وإعترض بأن خلط أحدهما بالآخر يستلزم خلط الآخر به ففي كل من الواو والباء خلطان فلا فرق وأجيب بأن الواو الخليطين صريحا بخلاف الباء فالفرق متحقق وفيه تسليم حديث الإستلزام

ولا يخفى أن فيه خلطا حيث لم يفرق فيه بين الخلط والإختلاط والحق أن إختلاط أحد الشيئين بالآخر مستلزم لإختلاط الآخر به وأما خلط أحدهما بالآخر فلا يستلزم خلط الآخر به لأن خلط الماء باللبن معناه أن يقصد الماء أولا ويجعل مخلوطا باللبن وظاهر أنه لا يستلزم أن يقصد اللبن أولا بل ينافيه فعلى هذا معنى خلط العمل الصالح بالسيئ أنهم أتوا أولا بالصالح ثم إستعقبوه سيئا ومعنى خلط السيئ بالصالح أنهم أتوا أولا بالسيئ ثم أردفوه بالصالح وإلى هذا يشير كلام السكائي حيث جعل تقدير الآية خلطوا عملا صالحا بسيئ وآخر سيئا بمصالح أي تارة أطاعوا وأحبطوا الطاعة بكبيرة وأخرى عصوا وتداركوا المعصية بالتوبة وهو ظاهر في أن العمل الصالح